عرفان الشّهود المحمّدي
عند الشّيخ أحمد بن مصطفى العلاوي

د. ابراهيم بن أحمد جامعة الزيتونة (تونس)

تمهيد

إنّ التّحقّق بعرفان الحضرة المحمّدية يعتبر عند جمهور الصّوفية مقاما يترقّى إليه السّائر في مسار سيره إلى التّحقّق بعرفان التّوحيد الخاصّ ، أي المعرفة الخاصّة بالحضرة الإلهيّة ، المعبّر عنها في اصطلاح الصّوفية بـ"الشّهود".

ويعتبر **العلاوي** الحضرة المحمّدية محور فلك الولاية في الوجود ، ولذلك كانت هذه الحضرة واسطة هذا الشّهود وينبوع أمداده. كما أنّه لا يتأتّى لسائر التحقّق بمقام الحضرة المحمّدية إلاّ بالاستغراق في محبّة النّبيّ ﷺ مصداقا قوله تعالى:﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ** ﴾[1] وللحديث الشّريف"لا يؤمن أحدكم حتّى أكون أحبّ إليه من والده وولده والنّاس أجمعين"[2]. فإذا رسخ السّائر في هذه المحبّة الشّريفة فإنّ من شأن الحضرة المحمّدية أن تزجّ به في جناب الحضرة العليّة ، فيصير حينها عارفا من أهل الحضرتين ، مكينا في المقامين ، وهذه الرّتبة هي ذروة مقامات العرفان عند **العلاوي**.

و قد تناول هذا المبحث مسألة الشّهود المحمّدي من خلال التّطرّق إلى إشكاليّة قضيّة رؤية النبيّ لربّه خلال رحلة الإسراء و المعراج ، كما تناول علاقة مسألة الشّهود بمفهوم الوراثة المحمّدية الذي ظهر في دائرة الثّقافة الإسلاميّة و ترتّب عنه ظهور مقام شيخ التّربية في نظام السّير الصّوفي.

يذهبُ **العلاوي** في مستهلّ تفسيره لسورة النجم أنّ المُقسَم به في قوله تعالى ﴿**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى** ﴾[3]. هو كناية عن نور ثاقب تنتهي فيه الأنوار ، وتستمدّ منه البصائر والأبصار ، ولا يصرف بهذا الاعتبار إلاّ للنّفس المحمّدي والرّوح الأبدي"[4]. أمّا الجامع بين النّجم والنّفس

1- سورة الأحزاب ، الآية: 6.

2- صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب حبّ الرّسول ﷺ من الإيمان ، حديث رقم 15 ، ص 23.

3- سورة النّجم ، الآيتان: 1 / 2.

4- **(العلاوي) أحمد بن مصطفى، لباب العلم في سورة والنّجم**، المطبعة العلاوية بمستغانم، الجزائر، ط2، 1987، ص5. وعبارة"الرّوح الأبدي"في قول العلاوي ، إشارة إلى قدم الحقيقة المحمدية ، ويشير الباحث مُحَّد بن الطيب إلى هذا المعنى في أسطر جامعة بقوله:"الحقيقة المحمدية تمثّل الصورة الإلهية في أكمل مجاليها.. إنّ الحقيقة المحمّدية هي الغاية من وجود العالم ، ومن خلالها يظهر سلطان الأسماء الإلهيّة ، ويتجلّى فعلها ، وتبرز أعيانها ، ويرى الله نفسه في صورة غيريّة.. وللحقيقة المحمّدية أسماء مختلفة تبعا لوظائفها المتعدّدة ، فهي عقل من حيث معرفتها الذّاتية بمبدعها ، وهي قلم من حيث أنّها أوّل الموجودات في عالم التّدوين والتّسطير..

المحمّدي ، فعنده ، هو "وجود الاهتداء في كلّ منهما ، زيادة عن النّور المتّحد فيهما.. (ف) النّجم يهتدى به بسبب هُويّه[1] وعروجه ، ولولا ذلك لما اهتُدي به فصار ميله وانتقاله من لوازم الاهتداء[2] فكذلك النّفس المحمّدي ، يهتدى به[3] بسبب ميله عن مركزه الأسنى الذي هو التّوجّه والتّلقي من الألوهية إلى ما لا بدّ منه من لوازم البشريّة والأمور الإختصاصيّة ، فيكون في ذلك أسوة واهتداء للمقتدي"[4]. وعلى هذا الأساس يرى **العلاوي** أنّ الحقّ تعالى نفى عن نبيّه الأكرم الضّلال والغواية ، لأنه "ما ظلّ في حال تلبّسه بما لابدّ منه ممّا خلق لأجله وهو الاشتغال بالله والتوجّه إليه"[5] ، وذلك أنّه لا يتصرّف باختياره ، ولا يباشر الأشياء بإرادته ومشيئته ، لانتفاء كلّ أولئك مع مولاه ، إذ أنّه "مُسيّر غير مخيّر ، فهو مع الخلق كما أنّه مع الحقّ ، لا يحتجب بهذا عن هذا.. وقد تعذّر الإفصاح عن ماهيّة ما هو عليه مع الحقّ حالة كونه مع الخلق. ولهذا قال تعالى:﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى**﴾[6]"[7]. والسّائد في معنى الآية عند جمهور المفسّرين أنّه ﷺ لا يتكلّم إلاّ عن وحي من الله. ولا منفذ للهوى في نطقه أو فعله لسموّ فطرته وكمال خلقه ، وفوق ذلك كلّه لخصوصيّة عصمته. و**العلاوي** يقرّ بعموم معنى هذا التّفسير حيث يقول: "فالمتبادر من الفهم أنّه لا يتكلّم بالقرآن عن هوى نفسه ، والأعمّ من ذلك أنّه لا يفعل فعلا ما من سائر الأفعال الظّاهرة والباطنة إلا والله سبحانه وتعالى هو الفاعل به فيها ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى**﴾[8]"[9]. بيد أنّ **العلاوي** ينزاح إلى التّفسير الذّوقي للآية ، فيحمل عبارة الهوى على معنى المحبّة ، فيقول عن النّبي ﷺ إنّه" لا يفشي ما أكنّه فؤاده من أسرار المحبّة التي خصّص بها دون بقيّة البشر وقد قلّ من يطيقها.. وقد كان له منها أوفر نصيب حتّى لُقّب بالحبيب.. لأنّ المحبّة منوطة بعدم إفشاء سرّ

وهي تتوسّط بين الله والعالم ، فتستمدّ من الله العلم ، وتمد به الإنسان خاصّة ، والموجودات عامّة بحسب استعداداتها". أنظر كتابه: **وحدة الوجود في التصوّف الاسلامي في ضوء وحدة التصوّف وتاريخيّته** ، ص ص 208-209.

[1]- من معاني ودلالات فعل "هوى" ومشتقاته يقول ابن منظور: هوى السّهم هُويّا: سقط من علو إلى سُفل ، وهوى هَويّا ، والهُوي: السّريع إلى فوق ، يقال: هوى ، يهوى ، هَويّا (بالفتح) إذا هبط ، وهوى ، يهوي ، هُويّا (بالضمّ) إذا صعد ، وقيل بالعكس ، وهوى ، يهوي هويّا إذا أسرع في السّير ، والمُهاواة شدّة السّير ، وهاوى: سار سيرا شديدا ، أُنظر كتابه: **لسان العرب** ، دار صادر ، بيروت ، ط 6. 2008 ، ص 115.

[2]- وإلى ذلك الإشارة في قوله تعالى: ﴿ **وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ** ﴾ سورة النحل الاية: 16.

[3]-وإلى ذلك الإشارة في قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ سورة الشورى الآية: 52. وفي غير ذلك من الآيات القرآنية الكريمة.

[4]- **(العلاوي) أحمد بن مصطفى** ، المصدر السّابق ، ص6.

[5]- **(العلاوي) أحمد بن مصطفى** ، نفس المصدر السّابق ونفس الصفحة.

6- سورة النّجم ، الآية: 3.

[7]- **(العلاوي) أحمد بن مصطفى** ، نفسه ، ص 7.

8- سورة الأنفال ، الآية: 17.

[9]- نفسه.

المحبوب ، وحتى لو تكلّف للنّطق بما أكنّه فؤاده لا تسعه الأسماع ولا تألفه الطّباع[1].. ولهذا قال تعالى ﴿**إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**﴾[2] أي غير متيسّر النّطق به"[3].

ويمضي **العلاوي** في توكيد هذا المعنى بالإشارة إلى أنّ سيّد الأنبياء ﷺ كان قويّا في حمل الأسرار بسبب تعلّمه من الحقّ تعالى كيفيات ذلك ، وهو معنى قوله تعالى:﴿**عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى* ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى**﴾[4]"أي علّمه القوّي المتين[5] ، لأنّ المِرَّةَ تطلق على المتانة والاستحكام ، لكي يكون مُحَّد قويّا متينا في حمل الأسرار ، ومدحُ المعلّم ،مدحٌ للمتعلّم ، ولهذا كان لا يفشي شيئًا من ذلك إلاّ بين من يستحقّه"[6] ، وذلك مراعاة لتفاوت النّاس في درجات عقولهم وتباين مداركهم واختلاف قابلياتهم واستعداداتهم ، ولذلك يقرّر **العلاوي** أنّه "لم يصدر من الصحابة رضي الله عنهم ما تستبعده الأفكار بخلاف غيرهم من أكابر القوم ، فقد ظهر على أكثرهم ما يحتاج إلى التّأويل"[7].

---

[1]- يقول عبد الرّحمان بن مُحَّد بن علي الأنصاري الأسيدي ، المعروف بـ ابن الدبّاغ (ت699هـ/1299م) في معنى الهوى:"وأمّا مقام الهوى ، فمعناه ميل القلب بالكليّة إلى وجهة المحبوب ، والاعراض عمّا سواه ، وتجريد القصد له في كل حين وصرف الخمّة إليه ، وفيه تستحكم المحبّة وتشتد صورتها وينبسط سلطانها.. فالهوى سلطانه يستعبد الأرواح والأجساد ، وتنقاد لعزته القلوب غاية الانقياد ، فلا يبقى له معها اختيار ولا مراد.. فلا يسمع إلاّ منه ، ولا يتحدّث إلاّ عنه". أنظر كتابه: **مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 2005 ، ص35. ويقول مُحَّد بن عمر بن أحمد الغمري (ت820 هـ/1417م) عن المحبّة: "دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحبّ وصفاته وأسمائه على قلب المحبّ حتى لا يكون الغالب عليه إلاّ ذلك ، ولا يكون شعوره وإحساسه في الغالب إلاّ بها ، فيصير شعوره وإحساسه بها بدلا من شعوره وإحساسه بصفات نفسه". أُنظر كتابه: **قواعد الصّوفية** ، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان ، مكتبة مدبولي ، مصر ، ط1، 2002 ، ص 132 ، أمّا ضياء الدّين أحمد بن مصطفى بن عبدالرحمان الكمشخانوي (ت1311هـ/1893م) فيعرّف المحبّة بقوله: هي آية الاختصاص ونتيجة الاصطفاء والإخلاص.. وأصلها.. الابتهاج بشهود الحق ، وتعلّق القلب به ، معرضا عن الخلق ، معتكفا على المحبوب بجوامع هواه غير ملتفت إلى ما سواه." أُنظر كتابه: **جامع الأصول في الأولياء** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 2002 ، ص 415.

2- سورة النجم ، الآية:4.

[3]- (**العلاوي) أحمد بن مصطفى** ، نفسه ، ص8.

4-سورة النجم ، الآيتان: 5/ 6.

[5]- يخالف العلاوي في هذا التّفسير غالب المفسّرين– ما عدا ذوي المنحى العرفاني منهم- في اعتباره انّ قوله تعالى"علّمه شديد القوى.."إلى قوله:﴿ **فَأَوْحِي إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوحِيَ** ﴾سورة النجم الآيات :5-10. تعود على الحقّ تعالى ، وليس على جبريل عليه السلام.

[6]- (**العلاوي) أحمد بن مصطفى** ، نفسه ، ص9. وهذا الاستحقاق الذي يشير إليه العلاوي يتعلّق بالتّوحيد الباطن ، أي مقام الاحسان الذي يتأدّى بالعارف إلى حقّ اليقين وهو الشّهود المشار إليه في الحديث الشّهير الذي رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ (=) في قوله: "حفظت من رسول الله ﷺ وعائين ، فأمّا أحدهما فبثثته ، وأمّا الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم".أنظر: **صحيح البخاري** ، كتاب العلم ، باب حفظ العلم ، حديث رقم 120 ، ص 50. ويقول مُحَّد المدني في هذا المعنى: "فالعلماء الآن قد ورثوا المقام المحمّدي .. لذلك تراهم صرّحوا في شطحاتهم بما لا تسعه العقول ، فأنكره عليهم من لا ذوق له ممّن كان متجمّدا على النّقول.. ولهم في ذلك أسوة حسنة به ﷺ لمّا أخبر بما ترقّى له ليلة الاسراء من رؤية الحق تعالى بالأفق الأعلى ثمّ رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى ، فاستبعد ذلك منه أهل الحجود وأقرّ به من كُسي نور الوجود." أُنظر كتابه: **المعرفة الواضحة في تفسير سورة الفاتحة** ، منشورات الزّاوية المدنية بقصيبة المديوني ، المنستير ، تونس ، ط2 ، 2002 ، ص20.

[7]- (**العلاوي) أحمد بن مصطفى** ، نفسه.

والعارف المتمكّن ، الوارث لهذا المنهج المحمّدي ، لا يكون في الغالب شاطحا في أقواله ، لغلبة صحوه على سكره ، وريّه على شربه ، وعلمه على حاله[1] ، فضلا عن كونه غير مطلوب"ببثّ المعارف غير المسبوق بها .. إلاّ إذا دعت الضّرورة لذلك وتحقّق نفعها إمّا في الحال أو في قريب الاستقبال ، لأنّ معارف العارف وما يردّ على قلبه ليس هو نافعا للعموم ولا يصحّ في كلّ الأوقات"[2]. وأمّا قوله تعالى ﴿**وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى**﴾[3] فلفظ "هو" عائد على "ذي المرّة" أي شديد القوّة ، وهو الحقّ تعالى كما سلفت إشارة **العلاوي** إلى ذلك. وهو أيضا الموصوف بالإستواء ، والإستواء هنا مقترن بالأفق الأعلى وهو مجلى التجلّي الذي اختصّ به الحقّ تعالى سيّد أنبيائه ورسله ﷺ ، وقد بلغ من تخصيصه إيّاه الغاية من جود القرب والولاية ، فلم ينل أحد هذه المنزلة من العالمين ، ولجلالة شرف هذا التجلّي ، جلّ عن الوصف والبيان فلا تناله أوساع المعاني ، ولا تلامسه بصائر الأفكار ، ولا ألباب المدارك ، فهو "أعظم ممّا تتخيّله الأوهام ، وبالتّقريب.. هو خطفة قلبيّة وحالة غيبية ، بيانها قوله تعالى:﴿**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى**﴾[4]. وهي حالة خصّصت بالخفاء ، وبما سوى الذّوق ، مالها إفشاء ، فالعبارة لا تلائمها ولو كانت ممّن أوتي جوامع الكلم"[5].

كما أنّ هذا التجلّي ، هو وجه من وجوه تنزّلات الحقّ تعالى على أحبابه وأصفيائه من أوليائه ليتسنّى لهم معرفته ، ولولا تعرّفه إليهم ما عرفوه أبدا فلا "يعرفه إلاّ من تعرّف إليه ، ولا يوحّده إلاّ من توحّد له ، ولا يؤمن به إلاّ من لطف به ، ولا يصفه إلاّ من تجلّى لسرّه ، ولا يخلص له إلاّ من جذبه إليه ، ولا يصحّ له

---

[1]- يقول عبد الكريم القشيري في هذا المعنى: "والعبد في حال سكره يشاهد الحال ، وفي حال صحوه يشاهد العلم.. فصاحب الذوق متساكر ، وصاحب الشرب سكران ، وصاحب الارتواء صاح ، ومن قوي حبّه تسرمد شربه ، فإذا دامت تلك الصفة لم يورثه الشراب سكرا ، فكان صاحيا بالحق.. لم يتأثر بما يرد عليه ، ولا يتغيّر عمّا هو به."أنظر كتابه: **الرسالة القشيرية** ، ص 72.

[2]- **(العلاوي) أحمد بن مصطفى ، المنح القدّوسية ، كتاب الزّكاة** ، ص293.

3- سورة النّجم ، الآية: 7.

4- سورة النجم ، الآية ، 11.

[5]- **(العلاوي) أحمد بن مصطفى ، لباب العلم في سورة والنجم** ، ص13. ووردت عبارة "جوامع الكلم" في الحديث الذي رواه أبو هريرة أنّ رسول ρقال: "بعثت بجوامع الكلم ، ونصرت بالرّعب ، وبينا أنا نائم رأيتني أتيت بمفاتيح خزائن الارض ، فوضعت في يدي." أُنظر: **صحيح البخاري** ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة ، باب قول النّبي ﷺ (بعثت بجوامع الكلم)حديث رقم: 7274 ، ص 1824. كما وردت عبارة "جوامع الكلم" مع مرادفين آخرين في الحديث الذي أورده الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ورواه أبو هريرة رضي الله عنه بقوله: "فضّلني ربّي: أرسلني رحمة للعالمين ، وكافّة للنّاس بشيرا ونذيرا ، وألقى في قلوب عدّوي الرّعب من مسيرة شهر ، وأحلّ لي الغنائم ، ولم تحلّ لأحد قبلي ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، وأعطيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه.."أنظر كتابه: **كشف الأستار عن زوائد البزّار على الكتب السنّة** ، نشر: مؤسسة الرّسالة ، بيروت ، ط2 ، 1984 ، ص44. ويقول في هذا المعنى أيضا محمّد علوي المالكي: "كان رسول الله ﷺ أفصح خلق الله تعالى لسانا وأوضحهم بيانا ، أوتي جوامع الكلم ، وبدائع الحكم ، وقوارع الزجر ، وقواطع الأمر ، والقضايا المحكمة ، والوصايا المبرمة ، والمواعظ البليغة ، والحجج الدامغة ، والبراهين القاطعة ، والأدلّة الساطعة.. أتاه الله تعالى لسانا جامعا للمعاني الكثيرة في الألفاظ اليسيرة.. وقد أجمع النّاس على أنّ محمّدا الأمّي قد أوتي من الأسلوب السهل المعجز ما لم يؤت معلّم ولا متعلّم ممّن دانت لهم العربية وملكوا زمامها". أنظر كتابه: **محمّد ﷺ الإنسان الكامل** ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط1 ، 2007 ، ص 46.

إلاّ من اصطنعه لنفسه"[1] قال تعالى: ﴿**وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء**﴾[2] ولذا يؤكّد **العلاوي** أنّه لولا "دنوّه سبحانه وتعالى وتنزّله وتدلّيه لما أمكن لمحمد ﷺ أن يعرفه على الوجه الأخصّ وهو بالأفق الأعلى"[3]. وهذا الدنوّ عند **العلاوي** هو دنوّ سبحاني ، أي دنوّ يليق بذات الحقّ تعالى [4] إلى سيّد أنبيائه ورسله ﷺ ، لتشريفه وتخصيصه بالتّقريب في المكانة لا في المكان ، كما أنّ التدلّي هو مبالغة في التنزّل[5] لا في النّزول ، فقوله تعالى: ﴿**فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ**﴾[6] أي "غاية من القرب وقوله ﴿**أَوْ أَدْنَى**﴾[7] معناه أدنى من ذلك حتّى غاب عليه الصّلاة والسّلام عن القرب في عظيم القرب"[8]. كما أنّ عظمة هذا القرب قد جمعت للنبيّ ﷺ في طيّاتها مؤالفة بين ضربين من رؤية الحقّ تعالى: رؤية في المعنى ورؤية في الحسّ ، فالأولى تمثّلت عند **العلاوي** في قوله تعالى: ﴿ *مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى* **أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى**﴾[9]. والثّانية تمثّلت عنده في قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى* عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى**﴾[10] .

---

[1]- (الكلاّباذي)أبوبكر بن مُحَمَّد بن اسحاق ، **التعرّف لمذهب أهل التصوّف** ، ص69.

2- سورة البقرة ، الآية: 255.

[3]- **(العلاوي) أحمد بن مصطفى** ، المصدر السّابق ، ص12.

[4]- ومن شرح هذا المعنى أنّ "الدنوّ من الله تعالى لا حدّ له ، ومن العباد بالحدود ، فيكون معنى دنوّ النبيّ ﷺ من ربّه سبحانه وتعالى وقربه منه ظهور عظيم منزلته لديه وإشراق أنوار معرفته عليه واطلاعه من غيبه وأسرار ملكوته على ما لم يطّلع عليه سواه ، والدنوّ من الله سبحانه وتعالى له إظهار ذلك له وعظيم برّه وفضله العظيم لديه." أنظر: **صحيح مسلم** ، شرح أبي زكرياء شرف الدين النّووي ، ج3، المكتبة التّوفيقية ، القاهرة ، 2008 ، ص 6.

[5]- و يرى العلاوي أنّ التنزّل هو عين النزول ، إذ التنزّل يفيد التنزيه والنزول يفيد التشبيه بيد أنّ التشبيه لا يعني تضادا مع التنزيه بل هو وجه من وجوهه ، وتجلّ من تجلياته ، وأنّ الحقّ تعالى قد جمع هذا المعنى في قوله:﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ سورة الشورى ، الآية:11. وإلى هذا المعنى يشير العلاوي تلويحا في أبيات شعرية:

هو النّور المبين بغير شكّ ** هو الربّ المُحجَبُ بالعبيد

هو المشهود في الأشهاد يبدو** فيخفيه الشهود عن الشهيد

أنظر كتابه:**الانموذج الفريد المشير لخالص التّوحيد** ، ص ص23-25. يقول أيضا في هذا المعنى مُحَمَّد بن يوسف الصّالحي الشّامي(ت942هـ/1535م): "لا يُتوهّم بما تسمعه في قصّة المعراج من الصّعود والهبوط أنّ بين العبد وربّه مسافة ، فإنّ ذلك كفر نعوذ بالله من ذلك ، وإنّما هذا الصّعود والهبوط بالنّسبة إلى العبد لا إلى الربّ ، والنبيّ ﷺ مع انتهائه ليلتئذ إلى أن كان قاب قوسين أو أدنى ، لم يجاوز مقام العبوديّة.. وإذا علمت ذلك ، فالمراد بترقّيه ﷺ ، وقطع هذه المسافات إظهار مكانته عند أهل السّماوات ، وأنّه أفضل المخلوقات." أنظر كتابه: **الإسراء والمعراج أو خلاصة الفضل الفائق في معراج سيّد الخلائق** ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط1 ، 2003 ، ص225.

6- سورة النّجم ، الآية: 9.

7- نفس الآية السّابقة.

[8]- **(العلاوي) أحمد بن مصطفى** ، **لباب العلم في سورة والنّجم** ، ص12.

9- سورة النّجم ، الآيتان: 11/ 12.

10- سورة النّجم ، الآيتان: 14/13.

وأمّا رؤية المعنى فهي الرؤية القلبيّة ، كما أن رؤية الحسّ هي الرّؤية البصريّة ، وبهذا تأدّى للنبيّ صلى الله عليه وسلم أن صار "بصره في هذا الحال عين بصيرته ، ولهذا مدحه سبحانه وتعالى بقوله:﴿ **مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى** ﴾[1]. أي ما زاغ البصر عمّا رأته البصيرة ، وقوله: وَمَا طَغَى. أي ما تجاوز وما التفت عمّا تجلّى الحقّ له فيه إنّما كان يلاحظه في كلّ شيء"[2] "وهذا من غاية معرفته بربّه تعالى وسعة علمه بأسرار تجلياته ،مصداقا لقوله تعالى:﴿**وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً**﴾[3]"[4]. ولقوله ﷺ :"إنّ أتقاكم وأعلمكم بالله أنا"[5]. يقول أبو حامد الغزالي (505هـ/1111م): "كل الآداب تُتلقى من رسول الله ﷺ ، فإنّه مجمع الآداب ظاهرا وباطنا ، وأخبر الله سبحانه عن حسن أدبه في الحضرة بقوله:﴿ **مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى** ﴾[6]. وهذه غامضة من غوامض الآداب اختصّ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخبر الله عن اعتدال قلبه المقدّس في الإعراض والإقبال ، أعرض عمّا سوى الله وتوجّه إلى الله.. فكان ما زاغ البصر حاله في طرف الإعراض ، وفي طرف الإقبال ، تلقّى ما ورد عليه في مقام قاب قوسين بالرّوح والقلب ، ثمّ فرّ من الله حياء منه وهيبة وإجلالا ، وطوى نفسه في مطاوي انكساره وافتقاره لكيلا تنبسط النفس فتطغى"[7].

ويرى **العلاوي** أنّ هذه الرؤية المحمّدية للحقّ تعالى هي المكنّى عنها في سورة النّجم بـ"سدرة المنتهى"[8]. وبـ"جنّة المأوي." وهي "غاية في معرفة الله ، يصل إليها الواصل ، تغشاه فيها أنوار الحضرة الإلهيّة"[9]. كما أنّ مقام هذه المعرفة مقام إرثي ، ترثه الأمّة المحمّدية ، وخصوصا العلماء منهم ، أي علماء المقام الإحساني ، الذين قال عنهم ﷺ : "إنّ العلماء ورثة الأنبياء"[10].

1- سورة النّجم ، الآية: 17.

2- (**العلاوي) أحمد بن مصطفى** ، المصدر السّابق ، ص16.

3- سورة النّساء ، الاية: 113.

4- يقول محمّد علوي المالكي مشيرا إلى سعة العلم المحمّدي: "فجئ بـ"ما" التي هي العموم والشمول لتعمّ جميع العلوم التي علّمها الله تعالى لرسله وأنبيائه ولتشمل غيرها من العلوم التي أفاضها الله سبحانه عليه." أنظر كتابه: **محمّد ﷺ الانسان الكامل** ، ص 42.

5- **صحيح البخاري** ، كتاب الإيمان ، باب قول النبيّ ﷺ أنا أعلمكم بالله ، وأنّ المعرفة فعل القلب لقول الله تعالى (و لكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) حديث عدد 20 ، ص 25.

6- سورة النجم ، الآية: 17.

7- أبو حامد الغزالي ، مجموع رسائل ، **رسالة روضة الطّالبين وعمدة السّالكين** ، دار الفكر ، بيروت ، ط1 ، 2000 ، ص100.

8- يقول عبد الكريم الجيلي عن سدرة المنتهى:"اعلم انّ سدرة المنتهى هي نهاية المكانة التي يبلغها المخلوق في سيره إلى الله تعالى ، وما بعدها إلاّ المكانة المختصّة بالحقّ تعالى وحده ، وليس لمخلوق هناك قدم ، ولا يمكن البلوغ إلى ما بعد سدرة المنتهى لأنّ المخلوق هناك مسحوق ممحوق ومدموس مطموس ، ملحق بالعدم المحض لا وجود له فيه بعد الشدّة." أنظر كتابه: **الانسان الكامل في معرفة الآواخر والأوائل** ، ص 149.

9- (**العلاوي) أحمد بن مصطفى** ، المصدر السّابق ، ص15.

10-جزء من حديث نبوي شريف أخرجه الحافظ أبو داود السجستاني الأزدي (ت275هـ/888م) في كتابه: **سنن أبي داود** ، ج3، باب الحث على طلب العلم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2011 ، ص 688.

وأمّا الرؤية البصريّة للحقّ تعالى في الدّنيا ، فيرى **العلاوي** أنّها غير ممتنعة على العباد ، وإنّما وجه الإمتناع متأتّ من عدم استعداد الأبصار لذلك ، أي من عدم معرفة الخلق لتجليّات الحقّ تعالى ، إذ أنّهم يبصرون ولا يبصرونه ولا يعرفون أنّهم أينما ولّوا فمرئيّاتهم هي الحقّ تعالى "فيكون الحجاب متوقّعا من قبيل البلادة لا غير ، ووجه اختصاصه بها (الرؤية البصريّة) من جهة كونه أكمل في الفطانة من غيره ، فعلم يقينا أنّ البصر لا يتعلّق بالمفقود ، وأنّ ما وقع عليه البصر لا يخلو من ظهور الحق فيه ، لأنّ الأشياء من ذواتها العدم ، ومن هاته الحيثيّة حصّل على الرؤية البصريّة ، وكلّ من له أدنى نصيب من الفطانة النبويّة لا يحرم حظّه من ظهوره"(أي من تبصّر ظهوره في الكائنات)[1]. وهذا ما تشير إليه الحكمة العطائيّة الثّاقبة: "الحقّ ليس بمحجوب عنك ، وإنّما المحجوب أنت عن النّظر إليه ، إذ لو حجبه شيء لستره ما حجبه ، ولو كان له ساتر ، لكان لوجوده حاصر ، وكل حاصر لشيء فهو له قاهر ﴿**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**﴾[2]"[3].

وأمّا الرؤية القلبيّة للحقّ تعالى ، فيرى **العلاوي**"أنّها غاية قصوى لمن حصّل عليها"[4] وهي المشار إليها في حقّ النبيّ ﷺ من قوله تعالى ﴿ **لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى** ﴾[5] وعبارة "الكبرى" عند **العلاوي** نعت لمنعوت محذوف ، أي أنّ "الآية الكبرى" هنا ، غير الآيات المذكورة في قوله تعالى:﴿ **لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا** ﴾[6]"[1]. لتخصيصها بالكبرى "وفي ذلك ما يشعرنا أنّها ليست من جنس الكائنات ، ولا من تجلّيات الأسماء والصّفات ، إنّما هي راجعة لشهود أنوار الذّات المقدّسة فلهذا قيّدت بالكبرى"[2].

---

[1]- (**العلاوي) أحمد بن مصطفى** ، نفسه ، ص ص 17-18.

2- سورة الأنعام ، الآية: 18.

[3]- (السّكندري) ابن عطاء الله ،الحكمة عدد 33، **الحكم العطائيّة الكبرى والصغرى والمناجاة الإلهية والمكاتبات** ، ص 10.

[4]- (**العلاوي) أحمد بن مصطفى** ، نفسه ، ص18. وفي هذا الموضوع ، أي "الرؤية" ، يرى هشام جعيّط أنّ الأمر يتعلّق بـ"رؤية" وليس بـ"رؤيا" حيث يقول: "اتضح لي أنّ القرآن لا يقصد رؤيا في المنام ، ولا حتّى في حالة خاصّة من انخطاف وغير ذلك ، بل رؤية بالبصر يصدّقها العقل ولا يخدعها الخيال ، رؤيتان في الواقع الفضائي ، الزّمني ، بيّنتان واضحتان تمام الوضوح وبالوعي الكامل". لكنّه يعود ليقول" "ورجوعا إلى مشكلة التجلّي ، فإنّ منطق القرآن ضدّ فكرة تجلّي الله ذاته.. وهذا كلّه يمنح رسالة محمّد ﷺ وجاهة كبيرة ، ولهذا حجّة قاطعة بأنّ الله ذاته لم يتجلّ لمحمد ﷺ في رؤيته." وهنا يطرح التّساؤل التّالي: أليس التجلّي الإلهي هو مظهر هذه الرؤية ؟ أي: أليس رؤية مُحَمَّد ﷺ لربّه قد تحقّقت بفضل تجلّيه عليه ؟ وبذلك يكون (=) التجلّي هو الممكّن لهذه الرؤية وشرطها الأصلي. يبدو أنّ هشام جعيّط يفرّق بشكل خاصّ بين مدلولي التجلّي والرؤية ، ويوضّح ذلك بالإشارة إلى أنّ محمّدا ﷺ في التجلّي الأوّل والثاني لم ير الله مباشرة ، أي الرؤية العيانية لذاته تعالى ، وإنّما رأى "جبر-إيل ، أي قوّة الله.. ولذا نعت بـ"ذي قوّة" و "شديد القوى" ، ثم يضيف أنّ جبرائيل هي "قوّة الله وروحه". ولذا فرؤية مُحَمَّد ﷺ هي "رؤية من موجود إلى موجود آخر تكشّف له في شكل يرى". وعليه فالّذي "تجلّى فعلا هو الله وليس بالله لأنّه منفصل عن الذّات الإلهية في هويّتها الكاملة الصميمية" وبذلك يكون جبريل في حقيقته عند جعيّط "ليس فقط أداة الله بل روحه ، أي من ذاته المنفصلة عنها ، مع الإبقاء قسرا على شيء من التطابق" أو قل "هو الله في مظهر قوّته الخارجية."أُنظر كتابه: **الوحي والقرآن والنبوّة** ، دار الطليعة ، بيروت ، ط 2 ، 2000 ، ص ص 50-65.

5- سورة النّجم ، الآية: 18.

6- سورة الإسراء ، الآية: 1.

كما لا يفوت **العلاوي** الإشارة إلى نُفَاةِ الرّؤية من المعتزلة الذين استبعدوا تعلّق الأبصار البشرية بشهود الحقّ تعالى لأنّ هذا يقتضي عندهم "تحيّز المرئيّ الحق تعالى لتمكّن إيقاع البصر عليه"[3]. ويردّ **العلاوي** على هذه الحجّة بالتّأكيد على أنّ هذا الإقتضاء الإفتراضي ، أي اقتضاء تحيّز ذات الحقّ تعالى لجواز رؤيتها يحتّم في المقابل "امتناع تعلّق بصره سبحانه وتعالى بالكائنات ، لأنّ في تعلّق بصره بالكائنات يلزم تحيّزه على المرئي ليتمكّن إيقاع البصر به ، وإذن لوصفناه بعدم الإدراك ، تعالى الله عن ذلك"[4].

ثم سرعان ما ينبّه **العلاوي** إلى عدم جدوى المساجلة العقلية بشأن هذه المسألة وأنّ "النجاة في تسليم المقام لأربابه لأنّه أغمض من أن تتوصّل إليه العقول"[5].

أمّا شأن أهل الإنكار من طائفة الكفّار ، فهؤلاء قد ارتضوا أن تقع أبصارهم على آلهة زائفة وهميّة ، تولّهوا بها ، وسمّوها بأسماء لا حقيقة لها سوى ظنونهم ، ولا سلطان لها سوى أخيلتهم ، ولا مردّ لذلك كلّه إلاّ أهواء أنفسهم الأمّارة بالسّوء ، التي ساقتهم إلى مراتع الغيّ والضّلال فهم فيها يعمهون.

والنّفس الأمّارة بالسّوء" من طبعها الغريزي عدم استسلامها ولو بجانب الحقّ.. ومهما أشير لها بالتّوحيد المحض.. وأنّ الله تعالى هو المنفرد في الوجود ذاتا وصفات وأفعالا لا غير ، تولّت مدبرة قائلة:﴿ **مَّا**

---

[1]- يرى عبد الوهاب الشعراني(ت973هـ/1565م) أنّ المراد من الآية المذكورة أنّ الحقّ تعالى أسرى بنبيّه الأكرم ﷺ من جهة إلى جهة في علوم الملأ الأعلى ليريه ما اختصّه به في هذه العوالم من الآيات والعجائب الدالة على عظمته وقدرته لا لتخصيص رؤيته إيّاه في مكان مخصوص ، لأنه سبحانه لا تحويه الامكنة ، فيقول الشعراني في هذا المعنى:" فما بقي إلا أنّ رؤية الملك في دسكرة ملكه وجنوده أعلى في التعظيم وحصول الهيبة من رؤيته وهو متنكّر ، وإنّما كان تعالى لا يحويه مكان لأنّ المكان المعقول هو من سقف العرش إلى تخوم الأرضين وذلك كالذرّة بالنّسبة لما فوق العرش ولما تحت النّجوم ، فإن صعد العرش إلى أبد الآبدين لا يجد بعهده سقفا أو نزل العرش أبد الآبدين لا يجد له أرضا ، ومن أُري الوجود هذه الرّؤية بعد عن القول بالجسمية ، تعالى الله ربّ العالمين عن ذلك. أُنظر كتابه: **اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر** ، ج2 ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 2003 ، ص266.

[2]- **أحمد بن مصطفى** ، نفسه.

[3]- (**العلاوي) أحمد بن مصطفى** ، نفسه ، ص19. يقول أبو حنيفة النعمان في هذا المعنى: "واعلم انّ رؤية الله تعالى بالأبصار في الآخرة حقّ معلوم ثابت بالنصّ لا بالعقل لانّها من المتشابهات وصفا.. ولأنّه (الله تعالى) موجود بصفات الكمال ، وأن يكون مرئيّا لنفسه ولغيره من صفات الجهة ممتنع ، فصار متشابها بوصفه ، فوجب تسليم المتشابه على اعتقاد الحقيقة فيه." أنظر كتابه: **الفقه الأكبر** ، ص.ص 22-21.

[4]- نفسه. ونرى هنا ، أنّ ردّ العلاوي على الحجّة التي اوردها للمعتزلة ، يتميّز بالوهن والإرتباك لأنّه قام على استخلاص نتيجة بناء على قياس خاطئ. فافتراض المعتزلة أنّ رؤية البشر للحق تعالى يقتضي تحيّزه هو افتراض منطقي لا تقريري ، كذلك هو افتراض سالب ، أي أنه افتراض يقوم على أنّ المحدود ، والمحيّز ، وهو البصر البشري ، يستحيل أن يرى الذات المطلقة إلاّ إذا صارت هذه الذات من جنس هذا البصر ، أي محيّزة ، إذا المحيّز يرى المحيّز لا المطلق ، وهذا البناء الافتراضي المنطقي لهذه الحجّة من جهة المعتزلة ، مقصده تنزيه ذات الحقّ تعالى عن أن تكون مرئية ، لا إمكانية إثبات مرئيتها وبناء على خطأ فهمه لهذا القياس ذهب العلاوي إلى أنّ تحيّز الحق تعالى يستلزم أن لا يرى المرئيات من الكائنات إلاّ بتحيّزه عليها ، وبالتالي ، يقتضي هذا وصفه بعدم الإدراك ، أو بمحدوديّته ، وهذا قياس مردود لأنّ افتراض تحيّز ذات الحقّ تعالى ليتمكّن إيقاع البصر عليها ، لا يقتضي أن تقاس رؤيتها هي بالكائنات لأنّ هذا من باب قياس الغائب على الشاهد ، والكامل على الناقص ، فضلا عن كون موضوع هذا القياس يستوجب قياس المقيس عليه ، (البصر البشري) على المقاس (الحقّ تعالى) وليس العكس.

[5]- (**العلاوي) أحمد بن مصطفى ، لباب العلم في سورة والنجم** ، ص 19.

سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ ﴾[1]. لأنّ فيه ما يمحو أثرها من لوحة الوجود، فلهذا تشمئز عند ذكر التّوحيد المحض"[2]. وإنكار هذه النّفس للحقّ تعالى عائد إلى خسّة جوهرها، وخبث محتدها، وفساد جبلّتها، فإنّ جوهرها كما يقول الحكيم الترمذي "من أخسّ التراب.. وذلك أنّها من موضع موطئ إبليس ومرتكضه ومتخطّاه وممشاه"[3]. كما أنّها إذا تستولي على بواطن أصحابها فإنّها تجعلهم من طائفة الذين ﴿**إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ** ﴾[4]. ويؤكّد **العلاوي** هذا الأمر بقوله: "وهذه قاعدة مشهودة وحالة موجودة في كل نفس أمّارة بالسوء ﴿**وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى** ﴾[5]"[6].

والإهتداء إلى الله لمّا كان متعلّقا بسوابق الإرادة الإلهية وأحكام أقدارها، لم يكن لأحد من العالمين أن يتمنّى إلاّ ما وافق هذه الأقدار، وإلاّ اقتضى ذلك خرق دائرة الحكمة الأزلية التي كتبت مصير الخلق في كتابين: كتاب سعادة وكتاب شقاء، وفريق في الجنّة وفريق في السّعير، ومن آيات ذلك أنّ الشفاعة التي جعلها الله في الآخرة، كإحدى تجلّيات رحمته بعباده لا تكون إلاّ طبق مشيئته قال تعالى: ﴿**وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاء وَيَرْضَى** ﴾[7]. كما أنّ شدّة حرص النبيّ ﷺ على هداية قومه لا يبعد عن الاندراج في دائرة هذه المشيئة، قال تعالى: ﴿**إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾[8].

ولمّا كان أهل الكفر في غفلة ثقيلة عن فقه الهداية، وحجاب غليظ عن عرفان اليقين، فلا عجب أنّ بواطنهم لا تنطوي على شيء من حقائق التّوحيد، بل إنّ غاية ما تحويه هذه البواطن هي طائفة من الظّنون الفاسدة لا تغني من الحقّ شيئا وبهذه الظّنون يجادلون ﴿**فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ** ﴾[9] ولذا أمر الحق تعالى نبيّه بالإعراض عن هذا الصنف من الخلق لعلمه بسابقيّة شقائهم باستيلاء حبّ الدّنيا على نفوسهم وغيبتهم كليّا عن الاستنارة بنور الهدى المبين، قال تعالى: ﴿**فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا*ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى** ﴾[10]. وأين هؤلاء المحجوبين من أهل الكشف من العارفين الذي "كُشف

1- سورة القصص، الآية: 36.

2- (**العلاوي**) **أحمد بن مصطفى**، المصدر السّابق، ص22.

3- أبو عبدالله بن الحسن بن بشر(الحكيم الترمذي)، **غور الأمور**، نشر مكتبة الثقافة الدّينية، القاهرة، ط1، 2002، ص.ص 38-40.

4- سورة الزمر، الأية: 45.

5- سورة النّجم، الآية: 23.

6- (**العلاوي**) **أحمد بن مصطفى**، نفسه.

7- سورة النّجم، الآية: 26.

8- سورة القصص، الآية: 56.

9- سورة الحجّ، الآية: 8.

10- سورة النّجم، الآيتان: 29 / 30.

لهم عن حقائق الذّات الجامعة لسائر الأسماء والصّفات فعرفوه سبحانه وتعالى على الوجه اللّائق بجلاله ، وكانت معرفتهم ناشئة من مكاشفة وعيان .. فكانوا شهودا على وحدانية الله كشهادته على نفسه ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ**﴾[1]. ومن لم يصل إلى رتبتهم لا يتّصف بالعلم ، أي لا يصدق عليه (صفة) عالم بالله ، وقد يكون عالما بأحكام الله ، و العلم يشرف بشرف المعلوم"[2].

ومن مشمولات هذا العرفان ، أي العرفان العياني لذات الحقّ تعالى ، تبصّر العارف سرّ القدر السّاري في الخلق ، وهذا بعدما "يُطوَى المقدور في وجود القدر ، والقدر في وجود المقدور ، فحينئذ لا يبقى له (العارف) من جهة متعلقات الإرادة أدنى ارتياب ، إنّما يرى الكلّ على أحسن خطّة وأكمل سيرة"[3]، وذلك لصفاء نظرته التي انفسحت على باطن الحكمة الإلهية ، وهي مورد من بحر الحقيقة" أجلّ من أن تتّضح للعموم ، أو تحيط بها الفهوم ، وقد انكشفت لخاصّة الخاصّة من الموحّدين"[4].

كما أنّ عرفان هؤلاء قد شمل عرفان نفوسهم ، أي وصولهم إلى معرفة معين حقائقها ، ولا يخطر ببال غير هؤلاء" أنّ وصول العارف إلى الله هو وصوله إلى نفسه لا غير"[5]. ويؤكّد **العلاوي** هذا المعنى بقوله:"غاية ما يهتدي إليه السّائر أن يهتدي لنفسه ، أي يعرفها ، فمن عرف نفسه ، فقد عرف ربّه[6]، وغاية ما يضلّ فيه السائر أن يضلّ عن نفسه أي يجهلها ، ومن ذلك قوله تعالى﴿**نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ**﴾[7]"[8]، فنفس العبد في الحقيقة هي مظهر الحضرة القدسيّة ومجلاها ، قال تعالى: ﴿**فإذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾[9] والتماس أسباب تحصيل هذه المعرفة هو السّعي الأسمى للظّفر بسبيل الحقّ ، قال تعالى:﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى**﴾[10] فلا أشرف منه ولا أكمل ، ولذا يصرف **العلاوي** معنى السّعي في هذه الآية إلى همّة السّائر في السّير إلى الله ويجزم هذا المعنى قائلا: "لأنّ السّعي باعتبار الوجه الأكمل لا يكون إلاّ في طلب الله أمّا في غيره فبطالة واغترار وإنّي أرى من

1- سورة آل عمران ، الآية: 18.

[2]- **(العلاوي) أحمد بن مصطفى** ، نفسه ، ص ص 29-30.

[3]- نفسه ، ص33.

[4]-نفسه.

[5]- نفسه ، ص34.

[6]- نفسه. و يذهب عبد الكريم الجيلي إلى أنّ أهل هذه المعرفة هم من "المحمّديين الموحدين ، فإنّهم على صراط الله ، فإذا كان العبد على على صراط الله ظهر له سرّ قوله عليه الصلاة والسلام:"من عرف نفسه فقد عرف ربّه." فيطالب بعد هذا أن يعبده حق عبادته ، وهو التحقّق بحقائق الأسماء والصفات لأنّه إذا عبده بتلك العبادة علم أنّه عين الأشياء الظاهرة والباطنة." أنظر كتابه: **الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل** ، ص104.

7- سورة الحشر ،الآية: 19.

[8]- **(العلاوي) أحمد بن مصطفى** ، نفسه.

9- سورة الحجر ، الآية: 29.

10- سورة النّجم ، الآية: 39.

الأولى أن تصرف هذه الآية على هذا الوجه وتكون حقيقة"[1]. وعلى ذلك يستبعد **العلاوي** حمل معنى السّعي في الآية على السّعي في طلب الجزاء "لأنّ الإنسان قد ينتفع بدعوة الغير ، كشفاعة الشفعاء ، وغير ذلك.. وما ورد في هذه الآية على خلافه ، فتعيّن أن تحمل على السّير في طلب الله ، لأنّ السّائر لا ينتفع بسير غيره ضرورة ، ومهما تحقّق صدقه وجد مطلوبه كما في الحديث:"إذا تقرّب إليّ عبدي شبرا تقرّبت له ذراعا ، وإذا أتاني ماشيا أتيته هرولة"[2]. وهو معنى قوله:﴿ **وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى** ﴾[3]. أي في أقرب ما يكون يُحصّل على نتيجة سعيه ، بخلاف طالب الآخرة ، فلا يحصل على مراده إلاّ بعد الموت ، وإن كان الموت قريبا ، فالحقّ منه أقرب إليه..وما بعدت المسافة إلاّ على من﴿ **تَوَلَّى *وَأَعْطَى قَلِيلا وَأَكْدَى** ﴾[4]"[5].

إنّ السائر إلى الله تعالى ، بصفاء مقصده وصدق توجّهه ، وإخلاص محبّته ، بالغ حتما حضرة ربّه. وبلوغ السّائر هذه الحضرة يتأدّى إلى الإستغراق في مقام الفناء ، وفيه "يكشف له عن حقيقة ما في الوجود.. لا موجود مع الله ، ولا ظاهر سواه..فلا يرى زائدا عن الواحد الفرد"[6].

وهذا الفناء هو كشف عيانيّ وشهود تحقيقيّ لأحديّة الحقّ تعالى ، وهي الحقيقة التي ذاق العارفون الأوائل من أسرارها من النبيّين والمرسلين وبلغ كمال عرفانها في الحقيقة المحمّدية ، فكانت بحر المعارف المتعلّقة بالذّات العليّة"[7]، ولذا كانت دافقة أبدا بتجلّياتها على العارفين ، فهي معبر هذه التجلّيات وواسطتها ، وكل من تجلّى له الحقّ تعالى ، فإنّما يتجلّى له في دائرة هذه الحقيقة.

1- (**العلاوي**) **أحمد بن مصطفى** ، نفسه ، ص 42.

2- جزء من حديث أخرجه **البخاري في صحيحه** من كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى(ويحذّركم الله نفسه) رقم: 7405 ، ص1854 ، وروايته عن أبي هريرة τ بقوله:".. وإن تقرّب إليّ شبرا تقرّبت إليه ذراعا وإن تقرّب إليّ ذراعا تقرّبت إليه باعا ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة". ويقول أبو بكر بن الحسين بن علي البيهقي (ت458هـ/ 1065م) في شرح الحديث: "وهذا القول من الرّسول ρ من لطيف التمثيل عند ذوي التحصيل ، البعيد من التشبيه ، المكين من التوحيد.. إخبارا عن مننه المستغرقة للخلق.. فتقرّب العبد بالإحسان وتقرّب الحقّ بالامتنان.. إنّما هو كلام خرج على طريق القرب من القلوب دون الحواسّ ، مع السلامة من العيوب على حسب ما يعرفه المشاهدون ويجده العابدون.. على مذهب التمثيل ولسان التعليم بما يقرب من التّفهيم ، إنّ قرب الباري من خلقه يقرّبهم إليه بالخروج فيها أوجبه عليهم ، هكذا القول في الهرولة ، إنّما يخبر عن سرعة القبول ، وحقيقة الإقبال ودرجة الوصول ، والوصف الذي يرجع إلى المخلوق مصروف على ما هو به لائق ، وبكونه متحقّق ، والوصف الذي يرجع إلى الله سبحانه وتعالى يصرفه لسان التّوحيد وبيان التّجريد إلى نعوته المتعالية وأسمائه الحسنى."أنظر كتابه:**الأسماء والصّفات** ، دار الحديث ، القاهرة ،2002 ، ص.ص 449-450.

3- سورة النّجم ، الآية: 40.

4- سورة النّجم ، الآيتان: 33/34.

5- (**العلاوي**) **أحمد بن مصطفى** ، نفسه ، ص.ص 42-43.

6- نفسه ، ص.ص 44-45.

3- يقول محيي الدّين بن عربي في هذا المعنى:"(فكان عليه السّلام أدلّ دليل على ربّه ، فإنّه أوتي جوامع الكلم التي هي مسمّيات أسماء آدم) ومسمّيات أسماء آدم هي الحقيقة التي تدلّ كل واحد منها على ربّه فإذا أوتي الرسول بجوامعها كان دالاً على ربّه أدلّ دليل."أنظر كتابه: **فصوص الحكم** ، بشرح مصطفى بن سليمان بالي زادة (ت1069هـ/1658م). دار الكتب العلمية ، ط1 ، 2002 ، ص312.

وباعتبار قدم هذه الحقيقة، اقتضت الحكمة الإلهية تشخّصها في عالم الخلق، في مظهر الذّات المحمّدية[1]، أي في حضرتها الشّريفة التي اكتمل من خلالها مسار الشّرائع الربّانية، متوّجة بشريعة الإسلام الخاتمة بأحكامها الآفاقية وبدائعها التشريعية وحقائقها العرفانيّة. قال تعالى: ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ** ﴾[2] وإلى ذلك الإشارة في الحديث الذي رواه أبو هريرة τ عن النبيّ ﷺ قال:"إنّ مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة في زاوية، فجعل النّاس يطوفون ويعجبون له ويقولون:هلاّ وضعت هذه اللّبنة؟ قال: فأنا اللّبنة وأنا خاتم النبيّين"[3].

وختم النبوّة في فلك الحقيقة المحمّدية ما هو إلاّ فاتحة طور الوراثة، أيْ وراثة المقام المحمّدي الذي أثبته الحقّ تعالى لسيّد أنبيائه ﷺ بقوله:﴿ **مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى** ﴾[4]. وهو مقام الشّهود أي "شهود الذّات بارتفاع الحجاب مطلقا"[5] أو قل "شهود الحقّ ذاته بذاته لفناء العبد بكليته في عين الجمع"[6]. وذلك أنّ الشهود لمّا كان حقيقة قديمة في دائرة الحقيقة المحمّدية، كامنة في حجاب الكنزيّة، اقتضت حكمة التّشريع الإلهي تجلّيتها، فكان الإسراء والمعراج مظهر هذه التجلية حيث رأى النّبي الأكرم ﷺ ﴿ **مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى** ﴾[7]. وبذلك صار الشّهود شريعة باطنة بمدد إرثي، وفيض قدسي إلى يوم القيامة، تكرّمت به الأمّة الإسلامية في دائرة المعرفة الإحسانية، التي يستوي في مقامها كلّ من استوى سيره في الحضرة المحمّدية، أي حضرة الوسيلة المشار إليها في قوله تعالى:﴿**يَاأَيُّهَا**

---

[1]- يشرح محيي الدّين بن عربي نشأة "الحقيقة المحمّدية بقوله: "وأوّل النشئ نشأ سيّدنا محمّد ﷺ على أكمل وجه وأبدع نظام.. برزت الحقيقة المحمّدية من أنوار الصّمدانية في الحضرة الأحدية، وذلك عندما تجلّى لنفسه (الحقّ تعالى) بنفسه.. ثمّ إنّ الحقّ صيّره ρحجابا لا يرفع وبابا لا يقرع، ومن خلق ذلك الحجاب يكون التجلّي، ومن وراء ذلك الباب يكون التدلّي كما إليه ينتهي التداني والتوالي، وعلى باطن ذلك الحجاب يكون التجلّي في الدنيا للعارفين، ولو بلغوا أعلى مقامات التّمكين." أنظر كتابه:**عنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب**، نشر المكتبة الأزهريّة للتّراث، القاهرة 1998، ص49. و يشرح الباحث المصري كرم أمين أبو كرم دلالة العرفان الصّوفي للحقيقة المحمدية بقوله: "وترجع أهميّة الجانب الصوفي للحقيقة المحمّدية إلى أنّها من هذه الناحية هي الينبوع الذي يستقي منه جميع الأنبياء والأولياء العلم الربّاني، فهي مصدر كلّ وحي وإلهام وكشف، وهي "روح مُحَمَّد" الذي له ظهور في كل نبيّ، وهذه "الحقيقة المحمّدية" هي الباطن لظاهر تأخّر وجوده الجسماني حيث أنّه -عليه الصلاة والسّلام- خاتم الأنبياء." أنظر كتابه: **حقيقة العبادة عند محيي الدّين بن عربي**، طبع دار الأمين، القاهرة، ط1، 1997، ص61.

2- سورة فصّلت، الآية: 53.

[3]- **صحيح البخاري**، كتاب المناقب، باب خاتم النّبيين ﷺ حديث رقم: 3535، ص868..

4- سورة النّجم، الآيتان: 12/11.

[5]- (القاشاني) عبد الرزّاق، **اصطلاحات الصّوفية**، ص 152.

[6]- (القاشاني) عبد الرزّاق، نفس المصدر، ص153.

7- سورة النّجم، الآية: 18.

الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾[1]. فيذوق العارف المحمّدي من عرفانها ويقينها حقّ العرفان واليقين ، إذ لا عرفان إلاّ من حضرتها ولا يقين إلّا من جهتها وبواسطتها.

ويسمّي جمهور الصّوفية طائفة العارفين من الورثة للمقام المحمّدي بمشايخ التّربية والإرشاد ، ومن وظائف هؤلاء المشايخ أن يجمعوا مريديهم على الله فيرفعونهم من "حضيض الأكوان إلى حضرة الرّحمان ، وإن شئت قلت من عالم الخيال إلى عالم النّوال ، أو من عالم التّقييد إلى عالم الإطلاق والتفريد ، أو من عالم الحسّ إلى عالم القدس"[2].

وجمع المشايخ للمريدين على الله ، أي توريثهم المعرفة الشّهودية ، هي الأهليّة التي يتمتّع بها هؤلاء الصّفوة من العارفين بمقتضى استوائهم في حضرة الوراثة المحمّدية ، ولذا يصف **العلاوي** كل وارث من هؤلاء بأنّه "باب من أبواب حضرة الله"[3] لأنّ "مفتاح الحضرة بيده"[4] كما يؤكّد في جزم قاطع:"من لم يجمعك على الله جمع شهود فليس بشيخ"[5].

ويعرّف أحد الصّوفية بمقام هؤلاء المشايخ بقوله:"أن يكون عالما بما أمره الله به ، و نهاه عنه ، فقيها في الأمور التعبّدية ، حسن الأخلاق ، طاهر العقيدة ، عارفا بأحكام الطّريق ، سخيّا زاهدا متواضعا ، حمولا للأثقال صاحب وجد و حال ، و صدق فعال ، ذا فراسة و طلاقة لسان في تعريف أحكام الطّريق ، محبّا لشيخه ، حافظا شأن حرمته ، يدور مع الحقّ أين دار ، منصفا في أفعاله و أقواله ، متوكّلا على الله في جميع أحواله"[6].

و يصف غيره المعارف الزّاخرة والهمم الرّفيعة والمجاهدات الفائقة والأحوال الباهرة لشيخ التّربية ولطبقته المجتباة من صفوة العارفين فيقول:"عالم بالحقيقة والشّريعة..سالك ما يقرّب من الحضرات الإلهية والمحمّدية ، غير غافل عن ربّه على الأنفاس.. تتجدّد عليه المواهب على الأنفاس.. أوتي الفهم عن الله في جميع المتحرّكات والسّواكن الكونيّة ، لا يكاد يتحرّك شيء أو يسكن إلاّ و فهم عن الله منه علما ينتفع به.. ومن هنا يتطلّعون (هذه الطّبقة) على عدم التّدبير والإختيار مع الله.. دأبهم وديدنهم ،

1- سورة المائدة ، الآية: 35.

[2]- (المدني) مُحَمَّد ، **الأصول الدّينية في شرح الرّسالة العلاوية** ، مطبوعات الزّاوية المدنية بقصيبة المديوني ، المنستير ، تونس ، ط1 ، 2010 ، ص68.

[3]- **(العلاوي) أحمد بن مصطفى ، الموادّ الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية** ، ج1 ، ص118. ويقول العلاوي أيضا مؤكدا هذا المعنى:"الشيخ سفير من الله للمريد ، وهو باب الله ، لا مدخل للمريد على الله إلا من بابه". أنظر نفس المصدر المذكور ، ص114.

[4]- **(العلاوي) أحمد بن مصطفى** ، نفس المصدر السّابق ، ونفس الصّفحة.

[5]- نفسه.

[6]- (الصيّادي) مُحَمَّد أبو الهدى ، **العقد النّضيد في آداب الشّيخ و المريد** ، تحقيق: عبد الحكيم سليم عبد الباسط. د. ت. ص ص 7-8

البحث عمّا يقطع عن الله ، وما يوصل لمرضاته..الغالب عليهم الحزن ، مجلسهم مجلس سكينة ووقار وحياء وصمت وأدب وتعلّم"[1].

أمّا **العلاوي** فيحدّد وظيفة شيخ التّربية بقوله:"شيخك هو الذي أخرجك من سجن الهوى ، ودخل بك على المولى ، شيخك هو الذي مازال يجلو مرآة قلبك حتى تتجلّى فيه أنوار ربّك ، نهض بك إلى الله فنهضت إليه ، وسار بك حتى وصلت إليه ، ولا زال محاذيا لك حتى يلقيك بين يديه ، فزجّ بك في أنوار الحضرة ، وقال: ها أنت وربّك"[2].

كما أنّ منزلة شيخ التّربية كعارف محمّدي ، لا يبتعد من حيث المدد المباشر عن مقام الوراثة الهارونية للحضرة الموسوية ، فهي بالأصالة وراثة نبويّة ، غير أنّ مددها وحقائقها وكشوفاتها محمّدية في كنهها. ويؤكّد جمهور عريض من الصّوفية ومنهم **العلاوي**- أنّ أوّل وارث من الأمّة الاسلامية للحضرة المحمّدية هو الصّحابي الجليل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه[3]، والإشارة إلى ذلك في قوله ﷺ مخاطبا إيّاه

---

[1]- (الكتّاني) أبو الفيض مُحَّد بن عبد الكبير (ت1327هـ/1909م) ، **سلّم الارتقاء في منشأ التصوّف ووجوب شيخ التربية** ، تحقيق ودراسة اسماعيل المساوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 2005 ، ص180. وفي هذا المعنى يقول مُحَّد المدني عن صفات شيخ التربية: "إذا رأيته تفيدك سمته ، ويلوح لك نعته ، فتعرفه وينقاد إليه باطنك.. وأنّه يزيد كلامه في علومك ، وأنّ علمه يرغّبك في الآخرة ويزهدك في هاته الدنيا الخاسرة." أنظر كتابه: **الأصول الدّينية في شرح الرّسالة العلاوية** ، ص67.

[2]- **(العلاوي) أحمد بن مصطفى ، الموادّ الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية** ، ج1 ، ص119. وجدير بالإشارة هنا أنّ مقصد مبايعة المريدين لشيوخهم هو في حقيقته مبايعة لله ورسوله ﷺ ، يقول خالد عدّة في هذا المعنى: "فالمبايعة هي طاعة تامّة للرسول ﷺ ، الذي يمثّل يد الله تعالى وقد جاء في القرآن الكريم ﴿إنّ الذين يبايعونك إنّما يبايعون الله﴾ سورة الفتح الاية: 10.والرسول ﷺ ، ما هو إلاّ مظهر ربّاني ، فكلّ من يقوم بالمبايعة ، فلا يبايع الشيخ ، ولكن بواسطته وبواسطة الرّسول ﷺ يبايع الله تعالى ، وهذه المبايعة لا توجد إلاّ عند شيوخ الصوفية ولا توجد عند بقيّة الأمّة الاسلامية." أنظر كتابه: التصوّف قلب الاسلام ، ص63.

[3]- والنظر في سلسلة الطريقة العلاوية يؤكّد هذا الأمر. وفي سياق الإشارة إلى علومه اللّدنية ، يقول أحمد بن مصطفى الصّديق الغماري الحسني في هذا المعنى:"أعطي العلم اللّدني ، ولا تصحّ النّسبة إلى الولاية التي هي منبع الولاية الحقيقيّة و المعارف الإلهية إلّا من جهته و حقيقته فهو إمام الأولياء المحمّديين كلّهم و أصلهم و منشأ إنتسابهم إلى الحضرة المحمّدية". أنظر كتابه: **عليّ ابن أبي طالب إمام العارفين ، أو البرهان الجليّ في تحقيق إنتساب الصّوفية إلى علي** ، تحقيق: أحمد مُحَّد مرسي ، مطبعة السّعادة ، القاهرة ، ط 1 ، 1969 ، ص 63. و يقول السرّاج الطّوسي أيضا:"ولأمير المؤمنين علي رضي الله عنه خصوصية من بين جميع اصحاب رسول ﷺ بمعاني جليلة وإشارات لطيفة ، وألفاظ مفردة ، وعبارة وبيان للتوحيد والمعرفة والإيمان والعلم ، وغير ذلك ، وخصال شريفة ، تعلّق وتخلّق به أهل الحقائق من الصوفية.. وقال علي رضي الله عنه في حديث كحيل ابن زياد:"ها إنّ هنا علم لو وجدت له حملة ، وأشار إلى قلبه ، فكان تخصيصه من بين الصحابة بالبيان والعبارة عن التوحيد والمعرفة والبيان من أتمّ المعاني وأعلى الأحوال". أنظر كتابه: **اللّمع في تاريخ التصوّف الإسلامي** ، ص ص124-125. و يقول عنه عبد الكريم الجيلي : "قطب مدار التّحقيق ، و فلك درجات سماء القربة و التصديق ، المتّصف بالأوصاف السّنية ، و المتخلّق بالأخلاق العليّة ، شيخ شيوخ الصّوفية ، المرشد للطّالب (المريد)، أمير المؤمنين ، أبي الحسن".أنظر كتابه: **الكمالات الإلهية في الصّفات المحمّدية** ، تحقيق و تقديم: سعيد عبد الفتّاح ، مكتبة عالم الفكر ، القاهرة ، ط 1 ، 1997 ، ص ص 16-17. ويقول عنه محمود أبو الفيض المنوفي (ت 1392هـ/1972م): "وأمّا عليّ ابن أبي طالب كرّم الله وجهه ، فذاك مدينة العلم ، وأوّل آخذ لبيعة الطريق –طريق الأولياء –وأوّل ملقّن بالذكر والسّر من الرسول ﷺ. "ويقول عنه أيضا: "وكان أوّل من أظهر علم

بقوله:"ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى ، إلاّ أنّه ليس نبيّ بعدي"[1] ، ولذلك كان عليّ بن أبي طالب من فئة "الظّاهرين"[2] و"القائمين بأمر الله"[3] وهي صفة جامعة للصّحابة رضوان الله عليهم. وقد زكّاهم رسول الله ﷺ بقوله:"خير أمّتي قرني"[4]. وكيف لا يكونون خيرة الأمّة وصفوة أهل الأرض والرّسول ﷺ يحيا بين ظهرانيهم ومدده يتدفّق مباشرة على قلوبهم ونفوسهم ، ولعلّ أجلى مثال لذلك أهل الصفّة[5] ، فقد شرّفهم المولى تعالى بأن أمر رسوله الأكرم ﷺ أن يفرد لهم حظّا من وقته لمجالستهم ومتابعة شأنهم ، كما أثنى عليهم بطول استغراقهم في الذّكر ووصفهم "بإرادة وجهه" وهذا كناية عن إخلاصهم الكامل ظاهرا وباطنا في عباداتهم لربّهم تعالى ، قال تعالى:﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**﴾[6].

والحاصل أنّ مقام المشيخة ، هو مقام الوراثة المحمّدية ، أي وراثة المقام الأعظم المتعلّق بشهود الحقّ تعالى على نعت العيان وحقّ اليقين ، وهي المعرفة الباطنة بالتّوحيد وآيته الكبرى المشار إليها في قوله تعالى:﴿**لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى**﴾[7]. وكذلك في الحديث النّبوي الشّريف: "أن تعبد الله كأنّك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك"[8]. ولا وصول إلى هذا المقام ، وخرق حجابه ، وذوق معرفته والتكشّف

القوم وتكلّم فيه سيّدنا علي كرّم الله وجهه عن رسول الله ﷺ ". أنظر كتابه: **جمهرة الأولياء وأعلام التصوّف** ، ج1 ، مؤسسة البابي الحلبي ، القاهرة ، 1967 ، ص ص 122-159.

[1]- **صحيح البخاري** ، كتاب المغازي ، باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة ، حديث رقم: 4416 ، ص1076. ومعلوم أنّ غالبيّة الطّرق الصّوفية تنهي أصول سلاسلها وأسانيد شجرتها إلى النبيّ ﷺ ومنه إلى عليّ بن أبي طالب ﷺ ثمّ يكون التفرّع ، أنظر على سبيل المثال أسانيد الطريقة القادرية ، وأسانيد الطريقة الشاذلية وأسانيد الطريقة الخلوتيّة ومنها الطريقة التيجانية. وللإطلاع في هذا الشأن ، أنظر: أحمد فال الشنقيطي ، **رسالة البيان والتبيان في أنّ الصّوفية مذهبها السنّة والقرآن** ، ص.ص 39-45.

[2]- وإلى ذلك الإشارة في الحديث الذي أورده البخاري عن النبيّ ﷺ أنّه قال:"لا يزال ناس من أمّتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون".

[3]- وإلى ذلك الاشارة أيضا في الحديث الذي أورده البخاري عن النبيّ ﷺ أنّه قال: "لا يزال من أمّتي أمّة قائمة بأمر الله لا يضرّهم من خذلهم ولا من خالفهم حتّى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك." أنظر الحديث الأوّل: صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب في فضائل أصحاب النّبي ، حديث رقم: 3640 ، ص 890 ، والحديث الثاني من نفس المصدر ، رقم 3641 ، ص890.

[4]- جزء من حديث أورده البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل الصّحابة ، باب في فضائل أصحاب النّبي ﷺ حديث رقم: 3650 ، ص 892.

[5]- يقول الباحث المصري عبد الشّافي مُحَمّد عبد اللّطيف عن أهل الصفّة: " قد يظنّ البعض أنّه لم يكن لهم علم إلاّ العبادة وقراءة القرآن وذكر الله ، صحيح أنّهم اشتهروا بذلك ولكنّ الصّحيح أيضا أنّ معظمهم كانوا مجاهدين ، لهم في ميدان الغزو مع رسول الله ﷺ قدم ثابتة ، وكذلك في الفتوحات الاسلامية بعده." أنظر كتابه: **أهل الصفّة** ، دار السّلام ، القاهرة ، ط1 ، 2007 ، ص36.

6- سورة الكهف ، الآية: 26.

7- سورة النّجم ، الآية: 18.

[8]- أنظر **صحيح البخاري** ، كتاب تفسير القرآن ، باب (إنّ الله عنده علم السّاعة) ، حديث رقم:4777 ، ص1205 ، وللتعرّف إلى بقيّة روايات الحديث ، أنظر: حافظ بن أحمد الحكمي ، **معارج القبول بشرح الوصول إلى علم الأصول في التوحيد** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 2004 ، ص ص315-322. ويقول عدّة بن تونس المستغانمي في شرح الحديث المذكور:"عبارة الحديث.. مشتملة على نوع من البلاغة المسمى بـ "الاستخدام" وهو عود الضمير على مذكور يفهم منه شيئًا زائدا على ما ذكر من قبل ، وهو قوله (فإن لم تكن تراه). فكأنّه يقول: هو أن تعبد الله لكي تراه ، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك ، ولم يكرّر في العبارة الثانية أداة التّشبيه ، والمعنى أنّه لم يقل: فإن لم تكن

على سرّه وحقيقته إلاّ بواسطة الحضرة المحمّدية الدالّة على الحقّ تعالى ، وكل من رام الوصول إليه من غير سبيلها كان سعيه ضالاّ وبذله خائبا ، وجهده ضائعا مبدّدا ، قال تعالى:﴿**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ**﴾[1].
فهل يكون النفاذ من أقطار السّماوات والأرض إلاّ إنسلاخا عن الأكوان بقصد ولوج حضرة الرّحمان ؟ وهل يكون لهذا القصد سلطانا غير الحضرة المحمّدية ؟

قائمة المصادر والمراجع

- (الأسيدي) عبد الرّحمان بن مُحَّد بن علي الأنصاري ، **مشارق أنوار القلوب و مفاتح أسرار الغيوب** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 2005.
- (البخاري) أبو عبد الله مُحَّد بن إسماعيل بن بردزبه ، **صحيح البخاري** ، دار الفكر ، بيروت ، ط 1 ، 2002.
- (البيهقي) أبو بكر بن الحسين بن علي ، **الأسماء و الصّفات** ، دار الحديث ، القاهرة ، 2002.
- (بن تونس) عدّة ، **مجالس التذكير في تهذيب الضّمير** ، المطبعة **العلاوية** بمستغانم ، الجزائر ، ط 2 ، 1995.
- (التّرمذي) الحكيم ، **غور الأمور** ، نشر مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط 1 ، 2002.
- (جعيّط) هشام ، **الوحي والقرآن و النبوّة** ، دار الطليعة ، بيروت ، ط 2 ، 2000.
- (الجيلي) عبد الكريم ،

الكمالات الإلهيّة في الصّفات المحمّدية ، تحقيق و تقديم: سعيد عبد الفتّاح ، مكتبة عالم الفكر القاهرة ، ط 1 ، 1997.

الانسان الكامل في معرفة الآواخر والأوائل ، ص 149.

- (الحسني) أحمد بن مُحَّد الصّديق الغماري ، **علي ابن أبي طالب إمام العارفين، أو البرهان الجليّ في تحقيق إنتساب الصّوفية إلى علي** ، تحقيق أحمد مُحَّد مرسي ، مطبعة السّعادة ، القاهرة ، ط 1 ، 1969.

كأنّك تراه ، فحذفه لأداة التّشبيه في العبارة الثانية ، يشعر بتلميح إلى الرغبة في مشاهدة الحقّ حال العبادة ، وهي غاية الإحسان الذي بنيت عليه بقية الأركان."أنظر كتابه: **مجالس التّذكير في تهذيب الرّوح وتربية الضّمير** ، المطبعة العلاوية بمستغانم ، الجزائر ، ط2 ، 1995 ، ص17.

1- سورة الرّحمان ، الآية: 33.

- (الحكمي) حافظ بن أحمد ، **معارج القبول بشرح الوصول إلى علم الأصول في التّوحيد**، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 2004.
- (زادة) مصطفى بن سليمان بالي ، **شرح فصوص الحكم لمحيي الدّين بن عربي**، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 2002.
- (السّجستاني) أبو داود ، **سنن أبي داود** ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2011.
- (السّكندري) ابن عطاء الله ، **الحكم العطائية الكبرى و الصغرى والمناجاة الإلهية والمكاتبات** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 2006.
- (الشّامي) مُحَمَّد بن يوسف الصالحي ، **الإسراء و المعراج ، أو خلاصة الفضل الفائق في معراج سيّد الخلائق** ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط 1 ، 2003.
- (الشّعراني) عبد الوهاب ، **اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر** ، دار صادر ، بيروت ، ط 1 ، 2003.
- (الشّنقيطي) المختار أحمد فال ، **رسالة البيان والتبيان في أنّ الصّوفية مذهبها السّنة والقرآن** ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط 1 ، 2006.
- (الصيّادي) مُحَمَّد أبو الهدى ، **العقد النضيد في آداب الشّيخ والمريد** ، تحقيق: عبد الحكيم سليم عبد الباسط ، د.ت.
- (بن الطّيب) مُحَمَّد ، **وحدة الوجود في التصوّف الإسلامي في ضوء وحدة التصوّف وتاريخيّته** ، دار الطليعة ، بيروت ،ط 1 ، 2008.
- (الطّوسي) أبو نصر عبد الله بن علي السّراج ، **اللّمع في تاريخ التصوّف الإسلامي**، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 2001.
- **(العلاوي) أحمد بن مصطفى،**
  لباب العلم في سورة والنّجم ، المطبعة العلاوية بمستغانم ، الجزائر ، ط2 ، 1987.
  الأنموذج الفريد المشير لخالص التّوحيد ، المطبعة العلاوية بمستغانم ، الجزائر ، ط4 ، د.ت.
  المواد الغيثيّة النّاشئة عن الحكم الغوثيّة ، المطبعة العلاوية بمستغانم ، الجزائر ، ط 1 ، 1993.
- (ابن عربي) محيي الدّين ، **عنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب** ، نشر المكتبة الأزهرية للتراث ،القاهرة ، 1998.

- (الغمري) مُحَمَّد بن عمر بن أحمد ، **قواعد الصّوفية** ، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان ، مكتبة مدبولي ، مصر ، ط1 ، 2002.
- (الغزالي) أبو حامد ،**مجموع رسائل رسالة روضة الطّالبين وعمدة السّالكين** ، دار الفكر ، بيروت ، ط 1 ، 2000.
- (عبد اللطيف) عبد الشّافي مُحَمَّد ، **أهل الصّفة** ، دار السّلام للطّباعة والنّشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ، ط 1 ، 2007.
- (القشيري)عبد الكريم ، **الرّسالة القشيرية في علم التصوّف** ، تحقيق: معروف زريق عبد الحميد بلطة جي ، دار الجيل ، بيروت ، ط 2 ، د.ت.
- (القاشاني) عبد الرّزاق ، **إصطلاحات الصوفية** و يليه: رشح الزّلال في شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق و الأحوال ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 2005.
- (الكمشخانوي) ضياء الدين أحمد بن مصطفى عبد الرحمان ، **جامع الأصول في الأولياء** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 2002.
- (الكلّاباذي) أبو بكر بن مُحَمَّد بن إسحاق ،**التعرّف لمذهب أهل التصوّف** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2001.
- (الكتّاني) مُحَمَّد بن عبد الكبير ، **سلّم الإرتقاء في منشأ التصوّف ووجوب شيخ التّربية** ، تحقيق ودراسة ، إسماعيل المساوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 2005.
- (أبو كرم) كرم أمين ، **حقيقة العبادة عند محيي الدّين بن عربي** ، طبع دار الأمين ، القاهرة ، ط 1 ، 1997.
- (المصري) ابن منظور الإفريقي ، **لسان العرب** ، دار صادر ، بيروت، ط 6 ، 2008.
- (المدني) مُحَمَّد ، **الأصول الدّينية في شرح الرّسالة العلاوية** ، مطبوعات الزّاوية المدنية بقصيبة المديوني ، المنستير ، تونس ، ط 1 ، 2010.
- (المنوفي) أبو الفيض ، **جمهرة الأولياء و أعلام التصوّف** ، مؤسسة البابي الحلبي ، القاهرة ، 1967.
- (المالكي) مُحَمَّد علوي ، **مُحَمَّد ρ الإنسان الكامل** ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط 1 ، 2007.
- (النّووي) محيي الدّين زكريا يحي بن شرف ، **شرح صحيح مسلم** ، تحقيق: هاني الحاج و عماد زكي البارودي ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، 2008.

- (النّعمان) أبو حنيفة ، **الفقه الأكبر** ، شرح أبي المنتهى المغنيساوي ، حيدر آباد ، الدكن ، الهند ، 1862.
- (الهيثمي) نور الدّين علي بكر ، **كشف الأستار عن زوائد البزّار على الكتب السّتّة** ، نشر: مؤسّسة الرّسالة ، بيروت ، ط 2 ، 1984.